الرومانسي في الغرب (ومعظم الفكر الغربي الحديث رومانسي بالمعنى الفلسفي) هو فكر يدور حول نموذج عضوي وصورة مجازية عضوية. ويمكن القول بأن التصور الغربي للفن والجمال والوحدة الفنية والسياسة والدولة والإنسان والمجتمع هو في أساسياته تصور عضوي. وهيجل هو قمة التفكير العضوي (الحلولي الكموني الواحدي الشمولي)، فنسقه الفلسفي يستند إلى ثنائية واهية، ويتحرك من خلال جدلية زائفة، إلى أن تلتقي الذات بالموضوع والمطلق بالنسبي، وذلك حين تصل الفكرة المطلقة إلى تحققها الكامل، فنصل إلى نهاية التاريخ. . نقطة الوحدة العضوية الشمولية الشاملة، حين تلتقي وحدة الوجود المادية بوحدة الوجود الروحية.

والفلسفة العضوية هي آخر محاولات الإنسان الغربي تجاوزَ اغترابه الشديد في عالم مادي ميت، ينكر عليه مركزيته في الكون وخصوصيته الإنسانية. ولكن رغم كل التحوير والتدوير، نجد أن النموذج العضوي نموذج مادي ينكر التجاوز، ويدور في إطار المرجعية الكامنة. ولذا فهو يسقط في نفس المشكلات التي يسقط فيها النموذج الآلي، فيُجابَه الإنسان مرة أخرى بعالم مادي، قد يتسم بالحيوية والحركية والجدة، ولكنه مع هذا ينكر على الإنسان مركزيته في الكون، كما ينكر عليه خصوصيته وتركيبيته وحريته الإنسانية ومقدرته على التجاوز.

وقد لاحظنا أن الطبيعة/ المادة تشبه في كثير من سماتها السوق/ المصنع. أي أن النموذج العضوي في واقع الأمر يشبه النموذج الآلي. ولعل هذا يعبِّر عن نفسه في واقع أن الحضارة الغربية تبنت في نهاية الأمر صورة مجازيةً عضوية/ آلية، أو صورة مجازية تبدو كما لو كانت عضوية حيوية، ولكنها حينما تطبق على عالم الإنسان فإن نتائجها تكون نتائج الصورة المجازية الآلية نفسها (إذ يحكم العالم قوانين النمو الرتيبة المطردة التي لا تفرق بين عالم الإنسان وعالم الأشياء).

ولعل النموذج السائد في الغرب الآن هو في الواقع مزيج من النموذجين، وقد شبَّه الفيلسوف لايبنتس الكائنات الحية بالآلة، بل وجد أن العالم الحي كله مثل